مظاهر التجديد في علم التجويد عند غانم قدوري الحمد في كتاباته ـ عرض ونقد ـ[1]

بقلم
د. حسنين بن مصطفى (*)

ملخـص

يتناول هذا البحث النظرة التجديدية للدكتور غانم قدوري الحمد في دراسة علم التجويد بذكر آرائه في كيفية عرض وترتيب بعض مباحث هذا العلم كمخارج الحروف، كما يتطرق البحث إلى التصور الجديد للدكتور غانم في مخارج الحروف الحلقية ومخرج حرف الضاد مستعينا بما توصلت إليه التكنولوجيا الحديثة من أجهزة توضح مخرج الحرف بدقة، ثم محاولة نقد هذا التصور نقدا علميا بناءً.

الكلمات المفتاحية: مظاهر، التجديد، التجويد، القرآن.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فلا ينكر أحد له مسكة من عقل أو أثارة من ذوق أن للعلوم قاطبة غايات ومقاصد يرنو أصحابها إلى تجليتها، ولا تخرج العلوم الشرعية عن هذا الإطار، بل هي أكثرها ارتباطا بالمقصدية لارتباطها بالدين، ويمكن حصر هذه الغايات في إسعاد البشرية في الدارين،

(*) قسم العلوم الإسلامية، جامعة تلمسان benmo_ho@hotmail.com

تاريخ الإرسال: 2018/07/29 تاريخ القبول: 2019/02/12

وتحقيق سر الوجود الإنساني؛ وهو خلافة الله في الأرض بإعمارها وإصلاحها.

ولما كانت العلوم الشرعية مستمدة من الوحيين (الكتب والسنة) اللذين دعَوَا إلى الاجتهاد وإعمال العقل، وذما التقليد والمقلدين الذين يجعلون عقولهم رهينة لمسلمات ورثوها عن الآباء والأجداد دون أي مستند من دين أو عقل أو علم، كان واجبا على أهل الفكر والعلم في كل عصر من العصور أن يعيدوا النظر في منطلقات ومناهج تدريس بعض العلوم بما يناسب متطلبات العصر وتطوره.

وبما أننا في عصر التطور التكنولوجي الهائل، يجدر بالباحثين والعلماء المسلمين أن يستفيدوا منه في خدمة العلوم الشرعية دون المساس بأصول هذه العلوم، ومن أبرز العلوم الشرعية وألصقها بالقرآن الكريم؛ علم التجويد، فقد برع في تدوين مسائله وتحرير أصوله علماء مبرزون قديما كأبي عمرو الداني والخاقاني ومكي القيسي وابن الجزري،كما ظهر في هذا العصر من خدموا هذا العلم مستثمرين ما وصلت إليه التكنولوجيا، وأبرزهم الباحث العراقي الأستاذ الدكتور غانم قدوري الحمد.

فما هي أهم مظاهر التجديد في علم التجويد عند غانم الحمد؟ وكيف وظّف الوسائل الحديثة في خدمة هذا العلم ؟

وإجابة على هذا التساؤل، عزمت على إنجاز هذا البحث الموسوم" **مظاهر التجديد في علم التجويد عند غانم قدوري الحمد في كتاباته – عرض ونقد –".**

وقد اعتمدت في هذا ابحث المنهج التحليلي في عرض آراء وتصورات غانم قدوري الحمد في بعض مسائل علم التجويد، كما اقتضى البحث اعتماد المنهج النقدي في تقييم النظرة التجديدية التي وضعها غانم الحمد لمباحث علم التجويد.

وكانت خطة البحث مشتملة على مطلبين اثنين؛ أحدهما عنونته بـ"تعريف التجويد ولمحة موجزة عن اهتمام العلماء به"، وقسمته إلى فرعين اثنين؛ جعلت الأول منهما للتعريف بالتجويد لغة واصطلاحا، والآخر كان لمحة موجزة عن اهتمام العلماء بعلم التجويد.

وأما المطلب الآخر فكان موسوما " نظرة تجديدية في مباحث التجويد عند غانم قدوري الحمد"؛ حيث جاء في ثلاثة فروع؛ الأول منها بينت منهج غانم الحمد في دراسة مخارج بعض الحروف، والثاني حول تصور غانم الجديد لمخارج الحروف الحلقية، وأما الثالث

فكان حول تصوره الجديد لمخرج حرف الضاد، ثم خاتمة ذكرت فيها أبرز النتائج المتوصل إليها وآفاق البحث.

المطلب الأول
تعريف التجويد ولمحة موجزة عن اهتمام العلماء به

أتناول في هذا المطلب تعريف التجويد في اللغة ثم في الاصطلاح ضمن الفرع الأول، وأعطف عليه فرعا ثانيا أوجز فيه أهم ما دون في علم التجويد إلى عصرنا هذا.

الفرع الأول: تعريف التجويد

أولا: تعريف التجويد لغة

أصل كلمة التجويد من الفعل جاد يجود جودًا فهو جواد، وتجويد الشيء جعلُه جيّدا، جاء في لسان العرب:" جاد الشيء جُودة وجَوْدة؛ أي صار جيّدا، وأجدتُ الشيء فجاد، والتجويد مثله"[1]، كما دلت الكلمة على البذل والعطاء والمبالغة في الشيء والسرعة، قال ابن فارس:" الجيم والواو والدال أصل واحد، وهو التسمح بالشيء وكثرة العطاء...والجَوْدُ: المطر الغزير، والجواد: الفرس الذريع السريع"[2].

ثانيا: تعريف التجويد اصطلاحا

تعددت وتنوعت تعريفات العلماء للتجويد، حيث نجد العديد منها لم تلتزم بحدود وضوابط تعريف المصطلح التي تعارف عليها المناطقة، فأدخل بعضهم أوصافا ليست لها صلة بالمعرَّف مطلقا، ومنهم من اقتصر على ثمرة هذا العلم، ومنهم من استرسل وأطنب في تفصيل مسائله مما يمكن جمعه في عبارة جامعة مانعة.

لذلك حاول بعض الباحثين وضع تعريف جامع مانع يتوضح المقصود منه لكل قارئ، ومن أحسن هذه التعريفات؛ تعريف محمد علي بسّة، حيث عرّفه بقوله:" علم يبحث في الكلمات القرآنية من حيث إعطاء الحروف حقّها ومستحقّها"[3].

فقد جمع التعريف بين الجانب النظري لتجويد في قوله "علم"، وبين الجانب العملي التطبيقي في قوله "إعطاء"، كما أنه ركز وبعبارة دقيقة على ركني علم التجويد الذي لا يقوم

إلا بهما وهما مخارج الحروف وصفاتها اللازمة التي عبر عنها بقوله "حقّها"، والصفات العرضية للحروف المعبر عنها بـ"مستحقها".

الفرع الثاني: لمحة موجزة عن اهتمام العلماء بعلم التجويد

لما كان القرآن الكريم من أعظم شواهد عطايا الرحمن ومنائحه السنية على الأمة الإسلامية كان كل علم متصل به من أشرف العلوم وأفضلها من بين العلوم كلها.

ومن أعرق وأعظم هذه العلوم القرآنية نفعا، وأعمها بركة؛ علم التجويد الذي يُعدّ الإسناد في تلقيه وسما راسخا وفريدا في كيفية نطق حروف القرآن، كما يعتبر التلقي والمشافهة الأصل الأصيل في ضبط مسائله ومباحثه، فتوارد حِيالَه العلماء بتمحيص حقائقه والوقوف على أغراضه.

والناظر في تاريخ هذا العلم ونشأته كان متزامنا مع نزول القرآن الكريم، لكن لم يرد في السيرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قد تباحث مع الصحابة رضوان الله عليهم كيفية تلاوة القرآن الكريم، ما يعني أن تجويد الحروف كانت مجبولة عليها ألسنتهم في غاية الإتقان.

وبقي تجويد القرآن من الناحية العملية مستقرا على حاله تتناقله الأجيال، ولم يُحتَج إلى التدوين فيه إلا مع بداية القرن الرابع الهجري وظهور أول مدوَّن في هذا العلم؛ وهو قصيدة أبي مزاحم الخاقاني (ت325ه) في رائيته الشهيرة، قال عنه ابن الجزري: "أول من صنف في التجويد فيما أعلم وقصيدته الرائية مشهورة"[4].

وتجدر الإشارة إلى أن علم التجويد كان قرين علم القراءات، وهذا ملاحظ بمجرد اطلاع على بعض المباحث في مدونات القراءات كالمد والقصر والإدغام والإشمام والروم وغيرها، وفي هذا دليل على مدى ارتباط علم التجويد بعلم القراءات، كما يدل بالإشارة الخفية على أنه لا ينبغي لطالب العلم دراسة مسائل علم القراءات إلا إذا أتقن تلاوة القرآن الكريم، ثم إن الإشارة إلى مسائل التجويد في كتب القراءات هي تمهيد لجمع مسائل التجويد في كتب مستقلة.

إلى أن أصبح علم التجويد علما مستقلا بذاته مع بداية القرن الخامس، وهو العصر الذهبي لعلوم الشريعة عامة وعلم التجويد خاصة، فظهر علماء مبرزون في علم القراءات والتجويد أشهرهم من الأندلس، منهم مكي بن أبي طالب القيسي (ت437ه) الذي صنف

كتابه البديع "الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة بعلم مراتب الحروف ومخارجها وصفاتها وألقابها"، كما لاح في الأفق نجم الإمام أبي عمرو الداني (ت444ه) فقد خص علم التجويد بكتاب نفيس سماه "التحديد في الإتقان والتجويد"، كما أن أرجوزته "المنبهة على أسماء القراء والرواة وأصول القراءات وعقد الديانات بالتجويد والدلالات" حظي فيها علم التجويد بقسط وافر تعلق بوصف قراءة النبي صلى الله عليه وسلم، والقول في أهل الأداء وفيمن يؤخذ عنه القرآن والقول في مخارج الحروف وتفصيلها وأصنافها وغيرها من أبواب التجويد.

وتوالت المصنفات في علم التجويد بعد القرن الخامس بين النثر والشعر، وبين مختصرات ومطولات، فاشتهرت لامية الشاطبي (ت590ه) في القراءات الموسومة "حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع"، حيث ضمّنها مخارج الحروف وصفاتها التي يحتاجها القارئ، وذلك في آخر باب من أبوب هذا المتن، ومن المتون المطولة في التجويد متن "عقود الجمان في تجويد القرآن" للإمام الجعبري (ت732ه)، وهذا النظم على سعته ونفاسته لم ينل من العناية ما يستحق، ويحتاج إلى شرح بسيط يفتح وصيده، ويجلي معانيه، ويستخرج نكته ولطائفه[5].

وفي القرن التاسع ظهر إمام الفن وشيخ المحققين ابن الجزري (ت833ه) حيث اشتهرت منظومته النفيسة "المقدمة في التجويد" فكتب الله لها القبول تلقاها الناس بالشرح والحفظ والتدريس إلى يومنا هذا لجزالة ألفاظها وقلة عدد أبياتها، كما شهد له كتابه "التمهيد في علم التجويد" براهة فهمه ونفاذ بصيرته بمسائل علم التجويد.

وفي العصر الحديث كثرت مؤلفات علم التجويد كثرة فائقة، وكلها تَنشُد التيسير والتقريب لطالبي هذا العلم، فنحى بعض العلماء والباحثين منحى جديدا في تصوير مباحث علم التجويد بأن وظفوا ما توصلت إليه التكنولوجيا الحديثة – وبالأخص علم الصوتيات الحديث – للارتقاء بالمتعلمين إلى مصاف المتقنين، ومن أبرز رواد هذا التجديد الأستاذ الدكتور غانم قدوري الحمد[6]؛ الذي نخصص الحديث عن مظاهر التجديد عنده في علم التجويد وموقفه من بعض مسائله في المطلب الآتي.

المطلب الثاني

نظرة جديدة في مباحث التجويد عن غانم قدوري الحمد

يرتكز علم التجويد في دراسة الحروف على أساسين اثنين؛ وهما دراسة الحروف حالة الإفراد؛ والمقصود بذلك تناولها من حيث المخارج والصفات، والأساس الثاني هو دراسة الحروف من حيث التركيب، ونعني به علاقة التأثر والتأثير بين الحروف حال مجاورتها لبعضها البعض في كلمة واحدة أو كلمتين كأحكام النون الساكنة والتنوين والمدود وغيرها.

ويتناول هذا المطلب بالأخص دراسة الحروف إفرادا، لذلك أعرض وجه نظر الدكتور غانم قدوري الحمد في منهج الكتب المعاصرة في علم التجويد، ثم أوضح تصوره في بعض مخارج الحروف وهي الحروف الحلقية الستة وحرف الضاد، معتمدا في ذلك على ثلاث كتب ومقال أبرز فيها وجهة نظره؛ وهي "الدراسات الصوتية عند علماء التجويد" و "أبحاث في علم التجويد" و "أهمية علم الأصوات اللغوية في دراسة علم التجويد" والمقال بعنوان "وجهة نظر جديدة في مخارج الأصوات".

الفرع الأول: منهج الدكتور غانم في دراسة مخارج بعض الحروف

أولا: موقفه من دراسة المعاصرين للمخارج في كتبهم:

صرح غانم قدوري الحمد – بعد قراءته لعدد كثير من الكتب المعاصرة في التجويد – أن موقع دراسة المخارج يكون في صدر الكتب لا في وسطها أو آخرها كما هو في أغلب هذه الكتب التي قرأها لأن دراسة الحروف تركيبا متوقف على دراستها إفرادا، وإلا فتكون دراسة المتلقي ناقصة فيقول: "إن الموقع المناسب لمبحث المخارج والصفات في كتب علم التجويد هو أولها قبل عرض الأحكام الصوتية الناشئة عن التركيب؛ لان فهم هذه الأحكام والوقوف على قوانينها الصوتية ينبني على معرفة مخارج الأصوات وصفاتها، وإن من لم يحط علما بالمخارج والصفات فإن معرفته بالأحكام ستكون ناقصة"[7].

وما صرح به الدكتور غانم هو ما عليه العلماء المتقدمون، فبنظرة عجلى إلى فهرس كتبهم نلحظ تصدر المخارج والصفات جميع أبواب علم التجويد، وخير مثال على ذلك ما قرره الإمام ابن الجزري في منظومته المقدمة؛ إذ يقول في:

إِذْ وَاجِبٌ عليهِمُ مُحَتّـمُ قبل الشّرُوعِ أوّلاً أنْ يَعْلَمُوا

مَخَارِجَ الحُرُوفِ والصِّفَاتِ لِيَلْفِظُوا بِأَفْصَحِ اللُّغَاتِ[8]

وهذا ما يعطينا دلالة واضحة على المنهج القويم الذي ينشده الدكتور غانم في التجديد بمفهومه الصحيح الذي هو "إحياء ما انطمس واندرس من معالم السنن ونشرها بين الناس وحمل الناس على العمل بها"[9].

ثانيا: موقفه من طريقة ترتيب المعاصرين للمخارج في كتبهم

كما يسجل الدكتور غانم ملاحظة أخرى في باب المخارج تتعلق بطريقة ترتيبها؛ حيث وضّح أن طريقة بعض المعاصرين في ترتيب المخارج ترتكز على البدء بالشفتين والانتهاء بالحنجرة على غرار كمال بشر[10] وأحمد مختار عمر[11] مقلدين في ذلك طريقة علماء الأصوات الغربيين، وهي مخالفة لما عليه القدامى من البدء بأقصى الحلق وصولا إلى الشفتين والخيشوم، وقد أبان الدكتور غانم عن موقفه الدال على تمسكه بما عليه الأقدمون مصرحا أن تقليد الغربيين ليس مسوغا لصرف النظر عن ترتيب العلماء القدامى، فيقول: " ونحن لا نرى مجرد اتباع علماء الأصوات الغربيين لترتيب معين لنخارج الحروف مسوِّغا للعدول عن الترتيب الذي سارت عليه جماهير العربية وعلماء التجويد"[12]، ثم علل موقفه هذا بأن إنتاج الصوت منطلقُه الهواء الخارج من داخل جسم الإنسان مؤيدا بذلك كلام القدامى، حيث يقول: " لأن مادة الصوت هي الهواء الخارج من داخل الإنسان، وأن أول نقطة يمكن أن ينتج فيها صوت لغوي اعتبروها أول المخارج، وهي أقصى الحلق"[13].

وفي تحديد مخارج بعض الحروف، فقد كشف الدكتور غانم عن موقفه مما توصل إليه الباحثون المعاصرون، مبينا وجهة نظره المتميزة بعرض أقوال القدامى وتحليلها تحليلا دقيقا مقارنا بذلك بينها وبين دراسات المعاصرين، ومستعينا بما توصلت إليه التكنولوجيا الحديثة من أجهزة متطورة كاشفة عن المخارج بدقة متناهية، ليصل في الأخير إلى الرأي الذي يراه صوابا، ونركز حديثنا هنا على مخارج بعض الحروف وهي: الضاد والحروف الحلقية الستة (الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء)، ومراعاة لترتيب جمهور القدامى للمارج نبدأ بالمخارج الحلقية، ثم مخرج حرف الضاد.

الفرع الثاني: التصور الجديد لمخارج الحروف الحلقية عند الدكتور غانم الحمد

أولا: مخرج الهمزة والهاء

لم تختلف نظرة الدكتور غانم الحمد عن وصف القدامى لمخرج الهمزة بأنها من أقصى الحلق، ووصف المحدثين بأنها من بين الوترين الصوتيين، ولكنه أضاف وصفا دقيقا لها بأنها صوت حنجري سفلي باعتبار خروجها من الوترين السفليين مميزا بينهما وبين الوترين العلويين اللذين نفى عنهما صفة "الكاذبين" لما لهما من دور في إنتاج بعض الأصوات، فقال:" وليس لديَّ ما أزيده على ما قالوا، سوى أني أصف مخرج الهمزة بأنه (حنجري سفلي) بناء على وصف الوترين اللذين تصدر عنهما الهمزة بالوترين السفليين، تمييزاً لهما عن الوترين العلويين اللذين كانا يوصفان بالكاذبين، واقترحت تسميتهما بالعلويين"[14].

وأما مخرج الهاء، فيرى الدكتور غانم أنها تخرج من بين الوترين الصوتيين العلويين اللذين وصفا بالكاذبين، ووصفهما الدكتور غانم بالصادقين، مخالفا في ذلك نظرة القدامى والمحدثين بأن الهاء تخرج بتباعد الوترين الصوتيين السفليين لاعتقادهم ألا وظيفة للوترين العلويين في إنتاج الأصوات، حيث يقول:" وقد ترجح لدي أن هذا الوصف لإنتاج صوت الهاء غير دقيق في بعض جوانبه، خاصة تحديد النقطة التي يخرج منها، وترجح عندي أن مخرج الهاء هو من بين الوترين الصوتيين العلويين اللذين وُصِفَا بالكاذبين، وأحسب أن الوقت حان لتبرئتهما من هذه الصفة، فإنهما صادقان، كالوترين الصوتيين السفليين، فالهاء يتم نطقه بتقارب الوترين العلويين، ويندفع النفس خلالهما في ممر ضيق، فيحدث الحفيف الذي يتشكل منه صوت الهاء، مع بقاء الوترين الصوتيين السفليين متباعدين كحالتهما في نطق الأصوات المهموسة"[15].

فالملاحظ أن الدكتور غانم وافق القدامى والمحدثين في تباعد الوترين الصوتيين السفليين لاندفاع النفس من خلالهما، إلا أنه أثبت دور الوترين العلويين بكونهما موضعاً لاعتراض النفس وتضييق مجراه.

ولم يكن هذا التصور الذي وصل إليه الدكتور غانم مجردا من أي دليل، بل كان ذلك عن طريق استعانته بعلم التشريح الذي يتيح التعرف على آليات وعملية التصويت ومكونات أجهزة النطق بدقة متناهية لم تكن متاحة للقدامى، فعلم التشريح يتيح لعلم التجويد الذهاب أبعد مما هو مدون في مصادره، والعودة بعملية التصويت إلى أصلها وبدايتها الأولى على مستوى الذهن، فيدرس المناطق المخولة بالكلام في مخ الإنسان وكل

ما يتعلق بها من طبيعة الأوامر ومسارها وما يتعلق بهذا المستوى من عيوب في الكلام ولحون في التلاوة، ثم ينتقل إلى الرئتين فيدرس طبيعة الهواء المستعمل في النطق وقوة تدفقه واندفاعه وغير ذلك.[16]

ومما استعان به الدكتور غانم من الأجهزة المساعدة على معرفة مكونات الحنجرة؛ منظار الحنجرة الإلكتروني[17]، الذي يتميز بأنه لا يعيق الشخص الذي تقام عليه التجربة من التحدث بصفة طبيعية، وهذه صورة لمنظار الحنجرة الإلكترونى:

وقد وضح الدكتور غانم ضرورة الاستعانة بهذا العلم من خلال تنبيه القارئ لأهمية معرفة مكونات الحنجرة وتجويف الحلق في تحديد مخارج، حيث يقول:" ولعل من المفيد تنبيه القارئ وتذكيره بأهمية معرفة مكونات الحنجرة وتجويف الحلق في تحديد مخارج الأصوات الستة على نحو أكثر دقة، وترتكز هذه المحاولة في إعادة تحديد مخارج هذه الأصوات على تصور دور جديد لبعض أجزاء الحنجرة والحلق، وهي بالتحديد لسان المزمار وما سمَّوْهُ بالوترين الكاذبين، لأنني لاحظت وجود دور مهم لهذه الأعضاء في إنتاج أصوات الحلق"[18].

وإلى جانب ذلك لم يُخْفِ الدكتور غانم دور التجربة الحسية في إثبات ما وصل إليه، إذ يقول:" وإذا أردت أن تتحقق من صحة هذا المذهب فيمكنك تكرار نطق الهمزة والهاء(أءْ،أهْ،أءْ،أهْ) أو (ءءءء) وتكرار نطق الهاء (ه ه ه ه) فسوف تحس أن مخرج الهاء من نقطة أعلى من النقطة التي يخرج منها صوت الهمزة ."[19]

ثانيا: مخرج العين والحاء

يتفق القدامى والمحدثون على أن مخرج العين والحاء من وسط الحلق، وحاول بعض المحدثين تحديد مخرجهما أكثر دقة، بأنهما يخرجان بتقارب الحاطين الأمامي والخلفي للحلق، وقال بعضهم بأن نطقهما يتم بمشاركة لسان المزمار وتراجعه إلى الخلف حتى يكاد يتصل بالجدار الخلفي للحلق، ويصرح الدكتور غانم الحمد بأن ذلك الوصف فيه قصور، ووصف مخرج هذين الحرفين تحديدا أدق من تحديد سابقيه المحدثين؛ إذ يبين أن مخرج هذين الصوتين من بين الوترين الصوتيين العلويين حين يتقاربان؛ حيث قال:" وأحسب أن هذه التحديدات لمخرج الصوتين تفتقر إلى الدقة، وترجح عندي أن مخرج الصوتين هو من بين الوترين الصوتيين العلويين، وذلك بتقاربهما إلى درجة تسمح للهواء بالنفوذ من خلالهما، فيحدث احتكاك مسموع يتشكل منه الصوتان، والحاء مهموس، والعين مجهور، ويمكن وصفها بناء على ذلك على هذا النحو:الحاء صوت حنجري علويّ رخو(احتكاكي) مهموس، والعين صوت حنجري علوي رخو (احتكاكي) مجهور."

وقد استعان بعلم التشريح أيضا من خلال التقاط صور بالأشعة للحنجرة تكون أوضح للمتأمل فيها، وهذا ما يؤكد لنا ضرورة ربط علم التجويد بالعلوم التجريبية والانفتاح عليها بما لا يتنافى مع علم التجويد موضوعا وغاية.

ثالثا: مخرج الغين والخاء

لم يسلم تحديد علماء التجويد العربية لمخرج الغين والخاء بأنهما من أدنى الحلق قريبا إلى التجويف الفموي من الانتقاد، وصرحوا بأنهما من بين أقصى اللسان والحنك اللين، أو الطبق[20] عند مخرج الكاف ويري الدكتور غانم أن مخرجهما أعمق من ذلك، حيث يقول:" والذي يترجح عندي أن الخاء والغين يُنْطَقان باقتراب لسان المزمار (أي: الغلصمة) من حافتي فتحة الوترين العلويين، وهو يقتضي تراجع أقصى اللسان نحو الخلف، ويؤدي ذلك إلى سماع الحفيف الذي يتشكل منه صوت الخاء والغين، والخاء مهموس، والغين مجهور، ويمر النفس بعد ذلك من فوق أقصى اللسان، بينه وبين أقصى الحنك ، واللهاة مسترخية في طريق النفس مائلة إلى الأمام"[21].

ويبين الدكتور غانم أن سبب الاختلاف في تحديد مخارج حروف الحلق هو عدم معرفة مكونات الحنجرة معرفة دقيقة، فيقول:"قد يكون من أسباب الاختلاف في تحديد مخارج

أصوات الحلق عدم تدقيق بعض الدارسين في مكونات الحنجرة والتجويف الحلقي، فينعكس ذلك على تصورهم لمخارج هذه الأصوات، وطريقة تعبيرهم في وصفها"[22]

وأثبت الدكتور غانم صحة قوله قياسا على كلام سيبويه (ت180ه)في أن القاف أعمق من الكاف حين قال – أعني سيبويه –:" والدليل على ذلك أنك لو جَافَيْتَ بين حَنَكَيْكَ فَبَالَغْتَ، ثم قُلْتَ: قَقْ، قَقْ، لم تَرَ ذلك مُخِلاً بالقاف، ولو فعلته بالكاف وما بعدها من حروف اللسان أخلَّ ذلك بها "[23]، ثم يعطف على كلام سيبويه بأن عدم اختلال مخرج القاف بتباعد الحنكين ينطبق تماما على مخرج الغين والخاء ليدل ذلك على أنهما أعمق مما ذكره المحدثون، فيقول:" ولو أننا فعلنا ما ذكره سيبويه لم نجد ذلك مخلا بالخاء والغين، وهو ما يدل على أنهما يخرجان من نقطة أعمق من الموضع الذي ذكره المحدثون في تحديد مخرجيهما"[24].

وفي هذا الصنيع للدكتور غانم الحمد؛ دلالة واضحة على علو كعبه في التحقيق في مسائل التجويد التي تباينت فيها الآراء والأقوال، وتأكيد على الرجوع لنصوص القدامى المتغافل عنها وإعادة إحيائها باستكناه مضامينها للوصول إلى الرأي الصواب، أو تضييق دائرة الخلاف على الأقل.

الفرع الثالث: التصور الجديد لمخرج حرف الضاد عند الدكتور غانم الحمد

يؤكد الدكتور غانم حقيقة اتفقت عليها كلمة العلماء قديما وحديثا، وهي حدوث تغير في نطق الضاد التي كان ينطقها الرعيل الأول؛ نظرا لتكلفها في المخرج وصعوبتها في النطق كما قرر ذلك علماء التجويد[25]، وقد أثبت الدكتور غانم صحة هذه الحقيقة بكلام سيبويه الذي يعد أحسن من وصف الحروف ومخارجها، فكان كل من جاء بعده عالة عليه ولم يزيدوا على ما قاله من أن الضاد الفصيحة تخرج "من بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس"[26].

وقد صرح الدكتور غانم بأن هذه الضاد التي ينطق بها الناس اليوم وحتى قراء القرآن المجيدين[27] هي ضاد ضعيفة مصنفة ضمن أحد الحروف الفرعية غير المستحسنة على حد وصف سيبويه حين قال:" إلا أن الضاد الضعيفة تتكلف من الجانب الأيمن، وإن شئت تكلفتها من الجانب الأيسر، وهو أخف لأنها من حافة اللسان مطبقة، لأنك جمعت في الضاد

تكلف الإطباق مع إزالته عن موضعه، وإنما جاز فيها هذا لأنك تحوّلها من اليسار إلى الموضع الذي في اليمين وهي أخف، لأنها من حافة اللسان وأنها تخالط مخرج غيرها عند خروجها، فتستطيل حين تخالط حروف اللسان، فسهل تحويلها إلى الأيسر..."[28].

وهذا ما جعل الدكتور غانم يقر بصعوبة شرح كلام سيبويه عن الضاد الضعيفة؛ لأن الضاد الفصيحة مجهولة عند المعاصرين، فقال:" وليس من اليسير توضيح كلام سيبويه عن الضاد الضعيفة أو تحديد مراده منه؛ لأن الضاد العربية التي وصفها سيبويه مجهولة اليوم عند الدارسين، وكذلك ما تفرع عنها"[29].

وبعد استقرائه لكثير من كتب التجويد المعاصرة التي لم تزد عن كلام سيبويه في الضاد الفصيحة، وفي بعضها اضطراب وتحريف لكلامه، يسجل الدكتور غانم موقفه بعدم تداول ونقل كلام سيبويه، ويرى إعادة النظر في طريقة وصف الضاد، وذلك لتغير نطقها في هذا العصر، مبينا تحفظه على من انبرى للتأليف في هذا العلم من ليس له باع فيه؛ إذ يقول:" لم يعد مقبولا نقل عبارة سيبويه في كتب علم التجويد التعليمية اليوم، لأن ذلك يشوش على المتعلمين، كما أنه يدل على قصور في القاعدة العلمية لدى مؤلفي تلك الكتب، وذلك بعد أن تصدى للتأليف في هذا العلم من ليس له تخصص فيه...فينبغي أن يعاد النظر في طريقة وصف الضاد في الكتب المؤلفة في علم التجويد في زماننا حتى يتطابق الوصف مع الأداء، فالضاد اليوم صوت لثوي شديد مجهور مطبق"[30]، وفي الوقت نفسه يدعو إلى تداول كلام سيبويه في الكتب ذات الطابع التاريخي في هذا العلم لتبقى حقيقة ضاد الفصيحة معلومة لدى المتخصصين، حيث قال:" ويمكن في البحوث التاريخية في هذا العلم الإشارة إلى الوصف القديم للضاد، حتى يكون المتخصصون على بينة من هذه الحقيقة"[31].

وبناء على ما سبق يرى الدكتور غانم أن الضاد اليوم صوت لثوي شديد مجهور مطبق انتفت منه صفة الاستطالة.[32]

ويختم الدكتور غانم نظرته التجديدية في مخرج الضاد بالدعوة إلى دراسة هذا الموضوع وغيره من مسائل علم التجويد بطريقة جماعية؛ بعقد لقاءات وندوات تجمع علماء التجويد والقراءات وعلماء الأصوات؛ للخروج بإجماع في كل تجديد يطرحه الباحثون فيقول:" وأحسب أن الأم بحاجة إلى أن يلتقي المهتمون بتلاوة القرآن تأليفا وتعليما وأداء، والمهتمون

بدراسة أصوات العربية لتدارس هذا الموضوع وما يشبهه من موضوعات، حتى يحصل كل تجديد في صياغة قواعد التلاوة على إجماع المتخصصين بهذا الموضوع من أبناء الأمة"[33]

ويردف الدكتور غانم تصوره هذا بما يترتب عل تغير نطق الضاد؛ حيث يمكن إجمال ذلك فيما يلي:

1- الدعوة إلى إدغام الضاد أمام التاء إدغاما ناقصا قياسا على حكم الطاء أمام التاء.

2- الدعوة إلى إدغام الضاد أمام الطاء بحجة التقاءِ صوتين من مخرج واحد.

3- الدعوة إلى تعميم إدغام الدال في الضاد في القرآن الكريم بحجة اتّحادهما في المخرج بخلاف أصواتها القديمة.

4- الدعوة إلى تغيير ضبط المصحف وفق هذه القراءات الجديدة.

5- الإقرار بالتغيرات الصوتية في قراءة القرآن الكريم، وهي ما يصطلح عليها علماء الصوتيات بالتطور الصوتي ، ويسميها القراء لحونا وتشويهات صوتية.

تعقيب:

يلاحظ أن الدكتور غانم بنى تصوره الجديد على أمرين اثنين:

أحدهما: تغيّر صوت الضاد، وأنّ الضاد القديمة (الضاد القرآنية) لم يعُد لها وجود....

والآخر: اعتماد صوت الضاد الجديد انطلاقا من كونه واقع مفروض، ومن تمّ تتغير أحكامها بتغير مخرجها.

والحقّ أنّ صوت الضاد الذي تغيّر هو صوته عند عموم النّاس بما فيهم علماء اللسانيات والصوتيات واللغة والأدب، فهم من الزاوية التجويدية والإقرائية لا يختلفون عن عموم النّاس، وتلفظهم للضاد لا حجّة فيه، بل الحجّة كلّ الحجة في قراءة ناقليها عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم، والضاد عند القراء وإن اختلفوا في بعض تفصيلاتها واحدة لم تتغير، ومخرجها بإجماع القدماء منهم والمتأخرين بل والمعاصرين واحد لم يتغير وهو حافة اللسان مع ما يليه من أطراف الأضراس العليا، وكلّ نطق مخالف لصوت الضاد المنقول بالتواتر في حلق الأداء والإقراء إنّما هو لحن وتشويه ينبغي اجتنابه حتى وإن انتشر وتفشى في نطق بعض أهل العلم من خارج تخصص القراءة والتجويد.

وعملا بما تقدّم فإنّ أيّ اجتهاد أو استنتاج، يقوم على اعتماد هذا التشويه الصوتي يقع باطلا، وقراءة النّبيّ صلى الله عليه وسلّم منه براء.

ثم إن قياس الضاد على الطاء في وجوب إدغامها في التاء إدغاما ناقصا قياس مع الفارق من جهتين اثنتين: فيزيولوجيا (مخرج الحرف) الضاد بعيدة كلّ البعد عن التاء بخلاف الطاء؛ فإذا كان صوت الطاء يشترك مع التاء في مخرج طرف اللسان، فإنّ حافة اللسان بعيدة عن طرفه بعدا يسمح بالتلفظ بصوتي الضاد والتاء تلفظا طبيعيا – على الأصل- خاصة وأنّ التاء تكاد تلفظ بمستدق طرف اللسان وما فيها من الهمس يمنع الإدغام، أمّا من الناحية الفيزيائية (صفة الحرف) فإنّ الضاد يختلف عن الطاء باستطالته هذه الاستطالة اللازمة لصوته لأنّها من صلب مخرجه لا يمكن أن يتخلّص عنها، ولا يمكن التلفظ بالضاد دونها، وإدغام الضاد في التاء بالصفة التي ذكرها الدكتور غانم ستستدعي ترك الاستطالة فهو يرى أن لا يبقى من الضاد إلاّ إطباقه، ولا وجود في العربية فضلا عن أصوات القرآن لضاد بلا استطالة.

وأما عن استبعاد صفة الرخاوة التي تعني جريان الصوت عن حرف الضاد لأنها لا تتماشى مع الاستطالة التي تضيق المجرى، فإن هذا التصور غير مسلّم به، بل إن الضاد رخوة أصالة بيد أن استطالتها المحيزة منعت جريان الصوت حتى يتجاوز مخرج اللام، والخطأ الذي يقع فيه بعض القراء اليوم هو إخراج الضاد أصلا من مخرج الدال من طرف اللسان، مع الاستعلاء والإطباق بغير استطالة ولا رخاوة، أو إخراجها طاء إن جاورت حرف تاء أو طاء، والحق أن تجري نوعا ما على حافة اللسان حتى تشعر باهتزاز الخد من داخل الفم ثم ينقطع الصوت عند انتهاء جريانه على الحافة قريبا من مخرج اللام أو عنده.[34]

الخاتمة

– إن المعارف والعلوم الإسلامية تحتاج إلى نفخ روح التجديد والاجتهاد فيها بما يتوافق ومتطلبات العصر شرط عدم المساس بالثوابت والأصول، ومن هذه العلوم علم التجويد.

– على المهتمين والمتخصصين في علم التجويد إدراك أهمية الاستعانة بالعلوم التجريبية كعلم التشريح الذي يتيح لهم الوقوف على صحة ما توصل إليه القدامى في مخارج الحروف، بله الدقة المتناهية في تحديدها وتقريبها للمتعلمين.

– لم يزد الدكتور غانم عما قرره علماء التجويد والعربية والأصوات في مخارج الحروف الحلقية سوى تحديدها بدقة مستعينا في ذلك بجهاز المنظار الإلكتروني المخصص لهذا الغرض.

– إن أي نظرة اجتهادية تجديدية في صياغة القواعد التجويدية تجعل نطق الناس اليوم للحروف حَكَمًا في إبطال ما ثبت متواترا عن النبي صلى الله عليه وسلم، فإنه غير مسلم به ويرد على صاحبه، وهذا ما حدث في مناقشة مخرج الضاد في تصور الدكتور غانم الحمد.

ومن أهم التوصيات التي نقترحها ما يلي:

– هو ضرورة التجديد في العلوم الشرعية عامة وعلوم القرآن خاصة وفق الضوابط الشرعية بإعادة إحياء ما اندرس من تراث الأمة بطريقة مبسطة دون تعقيد أو تبديل للثوابت.

– محاولة الاستعانة بالعلوم الإنسانية والاجتماعية في خدمة علوم الشريعة الإسلامية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش:

[1] – لسان العرب، ابن منظور، مادة (جود)، تحقيق عبد الله علي الكبير وغيره دار المعارف، القاهرة مصر، 720/1.

[2] – مقاييس اللغة ابن فارس، مادة (جود)، تحقيق عبد السلام هارون دار الجيل بيروت، ط1[1423ه-1991م]1/493.

[3] – فتح المجيد شرح كتاب العميد في علم التجويد محمود بسة المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة، ط1(1425ه،2004م) ص07

[4] – غاية النهاية في طبقات القراء ابن الجزري تحقيق برجستراسر، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط1(1427ه،2006م) 321/2.

[5] – ينظر: جهود الأمة في خدمة القرآن الكريم وعلومه مركز الدراسات القرآنية للرابطة المحمدية للعلماء، دار الأمان المغرب، ط1 (1434ه،2013م) ص430.

[6] – هو غانم قدوري حمد صالح آل موسى فرج، ولد بتكريت سنة 1950م،حصل على شهادة الدكتوراه بقسم اللغة العربية بجامعة بغداد سنة 1405ه (1985م) ، وكان موضوع رسالته: (الدراسات الصوتية عند علماء التَّجويد)، تلقى علمه في الصوتيات =كمال بشر وعبد الصبور شاهين، له عدة مؤلفات وبحوث في الرسم والتجويد، ينظر موقع الأستاذ الدكتور غانم قدوري الحمد www.dr-ghanim.com،يوم: 12 أفريل 2018.

[7] – أبحاث في علم التجويد غانم قدوري الحمد، دار عمار،الأردن،ط1(1422ه،2002م) ص86.

[8]– منظومة المقدمة ابن الجزري، تحقيق أيمن سويد، منشورات نداء للتراث، وهران، الجزائر، ص01

[9]– التجديد في الفكر الإسلامي عدنان أمامة، دار ابن الجوزي،السعودية،ط1(1424ه ،2005م)ص16.

– الأصوات اللغوية كمال بشر، مكتبة نهضة مصر،ص47-79.[10]

[11]– دراسة الصوت اللغوي أحمد مختار عمر، دار عالم الكتب، القاهرة، مصر،ط1 (1418ه ،1997م)ص114.

[12]– الدراسات الصوتية عند علماء التجويد غانم الحمد، دار عمار، الأردن، ط2(1428ه ،2007م)ص164.

[13]– المرجع نفسه، ص164.

[14]– وجهة نظر جديدة في مخارج الأصوات الستة غانم الحمد، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد 80، سنة2005،ص24.

[15]– المرجع السابق،ص24.

[16]– ينظر:منهج البحث في العلوم الإسلامية في ظل نظرية النظم العامة علم التجويد أنموذجا فتحي بودفلة، بحث ألقي مؤتمر المركز الأوروبي للبحوث والاستشارات في العلوم الإنسانية والاجتماعية في بروكسل،مارس2018.ص15.

[17]– يتكون من أنبوب مرن مصنوع من مادة ناقلة للأشعة الضوئية ينتهي أحد طرفيه بعدسة متصلة بآلة تصوير، يتم إدخال هذا الطرف عبر إحدى فتحتي الأنف إلى التجويف الأنفي حتى تشرف العدسة على الحنجرة من خلف اللهاة، ينظر: أهمية علم الأصوات اللغوية في دراسة علم التجويد غانم الحمد، مركز تفسير للدراسات القرآنية،السعودية، ط2(1436ه ،2005م)ص67.

[18]– وجهة نظر جديدة في مخارج الأصوات الستة غانم الحمد،ص21.

[19]– المرجع السابق، ص24.

[20]– يقصد بالطبق هنا القطعة اللحمية الموجودة في مؤخرة الحنك التي تنتهي باللهاة.

[21]– وجهة نظر جديدة في مخارج الأصوات الستة غانم الحمد،ص28.

[22]– وجهة نظر جديدة في مخارج الأصوات الستة غانم الحمد،ص20.

[23]– الكتاب، سيبويه،تحقيق د.عبد السلام هارون،دارالكتب العلمية،بيروت،لبنان ط2 [1403ه، 1982م]4/480.

[24] – وجهة نظر جديدة في مخارج الأصوات الستة غانم الحمد،ص28

[25] – ينظر: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق التلاوة،مكي القيسي، تحقيق أحمد فرحات،دار عمار ،الأردن،ط3(1417ه،1996م) ص158،والنشر في القراءات العشر ،ابن الجزري، 219/1، التمهيد في علم التجويد لابن الجزري،تحقيق غانم قدوري الحمد،مؤسسة الرسالة، بيروت،ط1(1421ه،2001م)141-140.

[26] – الكتاب،سيبويه،433/4.

[27] – أبحاث في علوم التجويد ،غانم الحمد،ص153

[28] – الكتاب ،سيبويه،432/4.

[29] – أبحاث في علوم التجويد ،غانم الحمد،ص153

[30] – المرجع نفسه،ص162.

[31] – المرجع نفسه،ص163.

[32] – المرجع نفسه،ص161

[33] – المرجع نفسه،ص163.

[34] – للمزيد في تأصيل المسألة وتحريرها ينظر: إعلام السادة النجباء أنه لا تشابه بين الضاد والظاء ،أشرف طلعت ، مكتبة السنة القاهرة،مصر،ط1(1408ه،1988م)ص82 وما بعدها.

The manifestations of renewal in the science of Tajweed when Ghanem Kadouri al-Hamad in his writings - presentation and criticism –

Housseyn BEN MOSTAFA

Faculty of Islamic Sciences - University of Tlemcen - Algeria

Abstract:

this research displays the new vision of the doctor ghanem khadour alhamed in his studies about the science of recitation of qurane ,and his show in the order of some chapters .this study deals with the view of doctor ghanem about the sources of som sounds using the new technology and recent materials ;finally the research gives a scientific critic to this new vision.

key words: innovation-recitation-quran-fields